عنوان البرنامج: القيم
الوحدة الأولى: مدخل تأسيسي لمفهوم القيم
الدرس الأول: القيمة لغويا واصطلاحا
اسم المحاضر: الأستاذ الدكتور محمد بلكبير

القيمة لغويا واصطلاحا

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين،

نستهل هذه الحلقات المباركة حول القيم بحلقة أولى نحاول أن نسلط فيها الضوء على مفهوم القيم من حيث الدلالة اللغوية، والدلالة الاصطلاحية، لأن القيم هي الأساسات وهي البناءات التي تقوم عليها كل المرتكزات السلوكية، وإذا ما حاولنا أن نتبين القيم من حيث دلالتها اللغوية، فإننا نجد أن لهذه اللفظة (لفظة القيمة أو لفظة القيم) بالمعنى الجمعي مجموعة من الاشتقاقات الدالة على الاستقامة والاكتمال. فحينما نتكلم عن القوام أو عن الاستقامة أو عن الإقامة وهي كلها مشتقات من فعل قَوَمَ فإنها تدل على الكمال. ومن ثمة فإن مفهوم القيمة لغويا يمكن أن يدرج ضمنه مجموعة من المفاهيم المكمّلة التي توضح الكمال والثبات، ومن ثمة لم يخرج هذا المفهوم عن هذا المحتوى أو عن هذا الماصدق كما يقول المناطقة، وحتى في اللغات اللاتينية عموما، وخاصة اللغة الانجليزية أو الفرنسية فإن مفهوم القيمةvalue (باللغة الإنجليزية) أو valeur (باللغة الفرنسية) تعنيان كذلك الاكتمال والثبات إلى حد ما، مما يفيد أن القيمة لغويا، هي الاستمرارية في استقامة الشيء، وإذا ما حاولنا أن نستدرج كل المفاهيم أو كل الاشتقاقات المستنبطة أو المرتبطة بالقيمة فإنها لا تخرج عن هذا الجانب الكمالي الثباتي الذي يدل على الاستقرار من حيث وجود الشيء في كماله.

ولذلك سنلاحظ لاحقا –إن شاء الله– في هذه الحلقة ذاتها أن مفهوم القيمة اصطلاحيا، سوف يختلف عن هذا المفهوم اللغوي الدال على الكمال والاستكمال والثبات والاستقرار.

إذن تبين من خلال هذا الجزء الأول المرتبط بهذه الحلقة فيما يخص دلالة القيمة لغويا فإن هناك اختلافا من حيث الدلالة الاصطلاحية، والقيم بطبيعة الحال حينما يُتكلم عنها بالمفرد أو الجمع إنما تستقي أهميتها من الدلالة الاصطلاحية، لأننا حينما نتناول القيم في حديثنا اليومي وفي كلامنا العلمي المرتبط بالسلوك والمرتبط بالأخلاق، إنما يستقي مفهومه ويرتكز في هذا المفهوم على الدلالة الاصطلاحية، ومن ثمة وجب الانتقال بسلاسة من الدلالة اللغوية إلى الدلالة الاصطلاحية، إذن حينما نتكلم عن القيمة اصطلاحيا فما المقصود بها؟ لأن الكثير من الناس حينما يتكلمون عن القيمة قد يخلطون بين القيمة وبين الأخلاق وبين السلوك وبين الموقف وبين الحاجة، إذن مجموعة من المفاهيم ذات الدلالات النفسية أو الاجتماعية أو السلوكية من حيث الفعل، أو الدلالات القيمية الداخلية من حيث المواقف النفسية والاستعدادات كلها تتداخل فيما بينها، الشيء الذي يجعل مفهوم القيمة اصطلاحيا غير واضح، ولذلك حينما نتكلم عن القيمة اصطلاحيا نقصد بها الاستعدادات الداخلية التي تعدّ الإنسان لكي يسلك سلوكا ما، وإذا كان هذا الاستعداد الذي يدفع الإنسان للسلوك، بمعنى الدافع للسلوك، هو الذي يحتل الحيز الأوفر والأكبر من الدلالة الاصطلاحية للقيمة فإن القيمة كذلك يمكن أن تُفْسَح لما هو سلبي وما هو إيجابي، لأن الكثير من الناس يتكلمون عن القيم بالمعنى الإيجابي، بأن القيمة هي دائما إيجابية، وأنها السلوك المبتغى والسلوك المفروض أن يكون، وأن القيمة هي الجانب التفضيلي في حين قد تكون هناك قيم سلبية، ذلك أن الكثيرين لا يرون في القيم إلا الجانب الإيجابي ويرفضون أن تكون للقيمة دلالة سلبية، والواقع أن القيمة تكتسي هذين الجانبين، أو هذين البعدين البعد السلبي والبعد الإيجابي، فالذي يرى أن القيم التي يَتَّبِعها هي قيم إيجابية ويكون مخالفا للآخر، فهذا الآخر يرى أن الجانب سلبي ومن ثمة، يصح القول أو يقوم القول الذي بموجبه يبدو الجانب الإيجابي والجانب السلبي للقيمة، ومن ثمة لا يمكن اعتبار القيمة دائما تثمينا، لأن هناك «التثمين» ما نسميه باللغة الفرنسية (La valorisation) وهناك «التقييم» أي إضفاء القيمة على الشيء (L'éva-luation)، ومن ثمة يجب أن ننظر إلى هذا التباين القائم أصلا بين التثمين والتقييم، فوَصْف الشيء بالقيمة معناه هو تقييم له، وهذه القيمة ليست دائما تثمينا أبدا، فقد تكون تثمينا لشخص ما ولكن هذا الشخص حينما يكون شخص آخر مخالف له في رأيه أو في سلوكياته فإن هذه القيمة لا تحمل معنى هذا التثمين، وإنما تقييم ويكون هنا التقييم سلبي.

إذن من خلال ما سبق تقديمه تبين أن للقيمة دلالات، أو على الأقل بيَّنا في هذه الحلقة دلالتين، الدلالة اللغوية، والدلالة الاصطلاحية، ومن ثمة فالدلالتان أو المعنيان متكاملان ولا يمكن النظر إلى القيمة من منظور واحد وإنما يجب الجمع بين المعنيين حتى يستقيم معنى القيمة ويبدو واضحا..

في الحلقات القادمة -إن شاء الله- سوف نبين دلالات أخرى وأبعاد أخرى للقيمة من حيث الدلالة الفلسفية والسيكولوجية النفسية، ومن حيث الدلالة السوسيولوجية الاجتماعية، لنَعْبُرَ من ذلك إلى معنى آخر ودلالة أخرى للقيمة وهي الدلالة من المنظور الإسلامي، كيف نظر الإسلام إلى القيم؟ وكيف عرَّف المسلمون القيم ؟ وكيف اعتبر المسلمون القيم من حيث الدلالة الفلسفية والدلالة الروحية والعملية؟.